حروب ، وتأصلت العداوة حتى أصبحت أغنية شعبية تردد ، وتأصلت البغضاء ونمت مع تقدم الزمن ، ثم استحالت عادة تعمق الشعور الشعبي في أوربا كلما ذكرت كلمة مسلم .. إن تجدد الموقف العدائي للمسلمين من أوربا هو هو حتى من عادي المسيحية نفسها بقي محافظاً على عداءة للمسلمين ، ونسأل : إذا كان عداء أوربا للمسلمين دينيا ثم ذهب التمسك بالدين في أوربا فلما ذا بقي العداء ؟ والجواب أن العداء لم يكن دينيا فحسب كما تقدم ، بل هو عداء عنصري من أيام اليونان) (١) .

وفي ظل هذه النزعة ، وهذه الروح يُربيُ المبشرون ويعدون إعداد خاصاً ، ثم ينطلقون إلي أفريقيا – وغيرها – من بلاد الإسلام ، لا مبشرين فحسب ، بل مبشرين ومستعمرين ، متأصلة فيهم روح العداء والكره الشديد للمسلمين في شتي بقاع الأرض .

سابعاً : توجه المبشرين نحو أفريقا خاصة :

استهدف المبشرون أفريقيا بالذات نظر لفقرها المادي والثقافي ، والتخلف الذي تعيشه ، والذي فرض عليها ، كما سبقت الإشارة إليه في نقطة : نصيب القارة من مخطط التبشير .

وبشيء من التفصيل عن بعض الدول القارة وتوجهات المبشرين – المنصرين – نحوها نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

١ – أعمال التبشير في مصر :

ونظراً للأهمية المكانية والعملية لمصر ، إذ هي الدولة الاكبر عدداً ، إلي جانب أن بها الأزهر الشريف ولن تميزها من ناحية الموقع يجعل لها من التفرد عن غيرها من دول القارة فهي البوابة الرئيسة للقارة من جهة الشمال الشرقي ، كما تطل على البحر المتوسط من ناحية الشمال والأحمر من ناحية الشرق ، كل

---

١ – الحركة الفكرية ضد الإسلام ص (٣٣ ، ٣٤) بتصرف .

ذلك إلي جانب ما تذخر به هذه الدولة من مقومات بشرية وإمكانات مختلفة ، نظراً لكل هذا فلقد ركز التبشير تركيزاً شديدا على مصر بعد الحرب العالمية الأولي لأمرين.

الأول : إن مصر هي مركز الثقل في العالم العربي كله ، وكل ما يثار فيها من تيارات إنما يكون عاملاً هاماً للتأثير على مختلف الأجزاء .

الثاني : أن مرحلة العمل الأولي في مصر قبل الحرب عن طريق الارساليات التبشيرية الأولي قد أتت أكلها وبخاصة عن طريق الصحافة التى أبرز ألمع نحومها الصحفيين الغربيّ النزعة خريجي هذه الكليات من زيدان إلي صروف إلي فرح أنطون إلي سركيس إلي شيلي شميل بالإضافة إلي الصحفيين الذين عملوا في فرنسا وبريطانيا ، وقد تركز العمل في هذه المرحلة على عدة مراكز هامه هي :

١ – الصحافة ٢ – الجمعيات الأدبية ٣ – الجامعة المصرية ٤ – مدارس الارساليات ٥ – المدارس المصرية الخاصة البرامج "كرومر ودنلوب" (١) .

فتوجهات المبشرين نحو مصر واتخاذهم منها مراكز للعمل ينطلقون منها ، وخصوصاً الجامعة المصرية ، والصحافة ، والجمعيات الأدبية ، والمدارس الخاضعة لهم ، لم يكن وليد الصدفة – إن صح التعبير فليس في الإسلام صدفة – إنما هي توجهات معدة إعداداً منظما منبعثا من الروح الصليبية التى تريد هدم الكيان الإسلامي وإحلال المسيحية محله .

كما أن الأغراض الاستعمارية قد عمل المبشرين أيضاً من أجلها فالتبشير خادم وحارس أمين لأغراض الاستعمار في مصر كما في غيرها ، فنشر المسيحية ، واستعمار البلاد غرضان أساسيان من أغراض التبشير في مصر .

---

١ – التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة للأستاذ / أنور الجندي ج ٥ ص (٢٠ ، ٢١) طبعة دار الانصار للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ .

٢ – التبشير في شمال أفريقيا :

يقصد بشمال أفريقيا من الناحية الجغرافية (أنها بلاد المغرب،والجزائر ، وتونس،وليبيا أيضاً،وتعرف هذه الأقطار بولايات البربر – نسبة إلي سكان البربر الأصليين ، كما تعرف أيضاً بالمغرب "الكلمة العربية التى تعني غرب" (١)

وأعمال المنصرين في هذه الأقطار تتضح من خلال الملامح والمميزات واحتياجات الكنيسة في شمال أفريقيا .

يقول كريكوري لفنكستون : إن الكثير من النصارى هم إما مراهقون أو شباب غير متزوجين ، وفي بعض المناطق تكون غالبيتهم من الفتيات أو النساء المسنات ، وكثير منهم ينتمون إلي الطبقة الوسطي وهم يعملون بالإضافة إلي أنهم مثقفون .. إن الكنيسة بحاجة مستمرة إلي عائلات نصرانية ، وإن مجموعات العبادة ليس لها بنية واضحة أو طقوس دينية فالنصارى اعتادوا على تلقي دروس موضوعية من الكتاب المقدس يسعون من خلالها للإجابة على أسئلة بعضهم بعضاً .. ومجموعات العبادة هذه تلتف حول المنصرين وتتأثر بهم إلي درجة كبيرة ، ويتفاوت الشعور نحو هؤلاء المنصرين ما بين الإعجاب بهم والاستياء منهم فالنصارى المحليون لا يريدون أن يتحكم فيهم المنصرون ولكنهم في ذات الوقت يشتكون من الإهمال ، وكثيرون منهم يأملون في أن يقوم المنصر بترتيب أمورهم حتى يتمكنوا من الدراسة في الخارج أو يساعدهم مادياً ، كما يجد المنصرون أنفسهم في كثير من الأحيان عاجزين عن تقرير الخطوات التى تكون مفضلة ، ومفيدة على المدي البعيد) (٢) .

---

١ – التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بولاية كولارادو في الولايات المتحدة الأمريكية ص (٣٥١) .

٢ – المصدر السابق ص (٣٥٨) بتصرف .

هذا عن التنصريين النصارى في هذه البلاد وإذا كانت الكنيسة بحاجة إلي عائلات نصرانية فإنه ينذر بالخطر في هذه الأقطار ، والمسلمون لا يفيقون من رقادهم .

إن الحركة التبشيرية والمؤتمرات التبشيرية تولي وجهها نحو هذه الأقطار فلقد (بدأت حركة التبشير في المغرب – مراكش – بالدعوة إلي الفصل بين العرب والبربر وهما مسلمين ، وذلك بإنشاء أنظمة خاصة ومعاهد ومحاكم تفصلهم عن الشريعة الإسلامية ومعاهد القرآن مع إلغاء تعليم اللغة العربية .. وكان أخطر ما وجهته الحركة التبشيرية إلي شمال أفريقيا هو عقد المؤتمر الأفخارستي التبشيري في تونس الذي عقد في قرطاجنة عام ١٩٣١ م وقال عنه أسقف قرطاجنة إنه حملة صليبية ، وقال المؤتمرون إن الدافع لهم على عقد هذا المؤتمر هو تحقيق الفكرة التى كانت تدور بين جنبي لويس التاسع والتى حملها بعده الكردينال لافيجري ، وليست هذه الفكرة سوي ما كان يقصده لويس التاسع من حملاته الصليبية على هذه الديار ، كما أوصي المؤتمر فرنسا بتعميم التبشير وذلك لتوحد عقيدة شمال أفريقيا ، وفي تونس ظهرت فكرة تجنيس السكان بالجنسية الفرنسية وتقديم الإغراءات والتهديدات لتحقيق ذلك الغرض ، وكان الهدف أن لا يحتكم السكان إلي شريعة الإسلام ، بل يحتكمون إلي القانون المدني الفرنسي وإدماج أهل تونس في الجنسية الفرنسية وسلخهم من عروبتهم ودينهم الإسلامي) (١) .

وهذا الضغط وحمل السكان المسلمين في هذه الأقطار على قبول النصرانية أمر لا يغفل عنه المنصرون في أفريقيا على اختلاف جنسياتهم ، وقد أثمر ذلك أحياناً ، فإن هنالك أعداد قليلة جداً من عوائل شمال أفريقيا تم فيها تنصير الزوج والزوجة معاً ... هذا وقد تنافست الإرساليات التنصرية على احتواء وكسب المتنصرين المسلمين القلائل من شمال أفريقيا والذين لديهم إمكانية لتولي مناصب دائمة في الكنيسة المحلية ، فقد أصبحت العقلية السائدة في

---

١ – التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ج ٥ ص (٢٤) بتصرف .

المغرب حالياً هو " أنه لكي يخدم الإنسان الرب كل وقته عليه العمل خارج بلاده مع إحدى إرساليات التنصير الأجنبية) (١) .

إنه عمل ينادي له الجبين حيث يتحول المسلم إلي نصراني ولم يكتفوا بهذا، بل يجعلون منه منصرا داخل بلاده أو خارجها ، وهذا الذي اعتنق النصرانية ، وأصبح منصرا بالفعل تكون جهوده في القيام بأعمال التنصر أقوي من غيره .

منصرون بوظائفهم :

وفي شمال أفريقيا أيضاً نجد أن هناك فئة ضالة مضلة ، وهم وإن كانوا منصرين غير رسميين إلا أنهم في الحقيقة منصرون بالوظيفة وهم قوة فاعلة في هذا المجال .

فلقد (قدم مايكل كريفيشس في كتابه – دع طموحاتك الصغيرة – تلخيصاً جيداً لتلك النتائج المغمورة للموظفين المدنيين من غير المنصرين الذين يسعون إلي استخدام أعمالهم كوسيلة للتغلغل في سبيل تنصير القطر كله ، ومثل هؤلاء الأشخاص إما أنهم لا يتكلمون اللغة العربية أو أن الذين لديهم يحتاجون لخدماتهم بدرجة تستوعب كل وقتهم ، والعقبة الأكبر بالنسبة لهؤلاء الموظفين المدنيين في شمال أفريقيا هي خوفهم الشديد من أن الدعوة المكشوفة تعرض وظائفهم أو شركاتهم للخطر ، إنة من غير المؤكد أن الوظائف المدنية تشكل استراتيجية فعالة للتنصر في شمال أفريقيا ، وإن الشخص الأكثر فعالية هو ذلك الشخص الذي يوجد لدية أناس كثيرون يصلون من أجله لأنه ينتمي إلي جمعية تنصيرية ومسئولياته الأساسية هي كسب اتباع وزرع الكنائس ، إن عمله هو مجرد وسيلة لإقامة صداقة مع سكان شمال أفريقيا ، وهؤلاء الأشخاص لهم نفس امتيازات الأشخاص غير المنتمين إلي الجمعيات التنصرية من حيث الاتصال العادي بالمسلمين ولأنهم مدعومون من الخارج يمكنهم تخصيص ساعات عملهم

---

١ – التنصير ص (٣٥٨ ، ٣٥٩) بتصرف .

وتقليصها إلي عشرين ساعة فقط في الأسبوع ، وهكذا يستطيعون توفير وقت كاف لاستخدامه في إقامة الصداقات وكسب الاتباع) (١)

وهؤلاء وإن كانوا يعملون كمنصرين عن طريق وظائفهم إلا أن نشاطهم في الحقيقة لا يكل ولا يمل في سبيل استقطاب أعداد كبيرة من سكان شمال أفريقيا ، وذلك بوسائل الضغط عليهم ، حيث إن الناس يحتاجون لهم في وظائفهم سواء أكانوا ممن يطببون آلامهم أو ممن يقومون لهم بخدمات اجتماعية أخرى .

إن الوجه القبيح لهؤلاء المنصرين يعلن عن نفسه حينما يجد نفسه في موقع يحتاج الناس إليه فيه ، وبهذا تختلط معظم أعمالهم التى يقومون بها بأعمال المبشرين ، وهم بالفعل أداة فعالة في ذلك الميدان ، وخصوصاً في كل دول أفريقيا حيث الحاجة الماسة إلي ذلك .

٣ – أعمال المبشرين في وسط أفريقيا :

وأعمال المبشرين في قلب ، أو في وسط أفريقيا لا يقل ضراوة وخطراً عن أعمالهم في شمالها أو شرقها ، بل إن الحملات التبشيرية على أهل هذه البلاد تعتبر أشد وأعتي من غيرها ، فلقد امتزج التبشير بالاستعمار في أحايين كثيرة ، وكون التبشير يعمل مع الاستعمار جنبا إلي جنب فإن ذلك يعد أشرس الهجمات ضد الإسلام والمسلمين .

يقول الأستاذ أنور الجندي : زحف الاستعمار منذ منتصف القرن الخامس عشر إلي أفريقيا ، وكان أوائل الرواد الغربيين مبشرين من أمثال ولفنسون وستانلي وغيرهم من الذين فتحوا الطريق أمام هذه البعثات ، وكانوا يعلنون عن

---

١ – التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص (٣٦١) ولمزيد من الإيضاح ينظر كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص (٥٨ ، ٦٥ ، ١١٣ ، ١٩١) حيث عقد المؤلفان الدكتور مصطفي خالدي والدكتور عمر فروخ فصولاً مطولة في هذا المضمار طبعة سنة ١٩٨٣ م منشورات المكتبة العصرية – صيدا – بيروت .

خطط تقدمهم إلي قلب أفريقيا باسم التبشير ويرون أن كلمة الفتح إنما تعني خضوع أفريقيا وأهلها للإرساليات ، وقد كانت شرق أفريقيا وغربها ووسطها مجالاً للصراع والمنافسة لمختلف البعثات التبشيرية الكاثوليكية واليسوعية واليروتستانتية السويدية منها والإنجليزية والألمانية وتعد الإرساليات البريطانية أضخم هذه البعثات وما ينفقه الإنجليز يقدر بثلثي نفقات الإرساليات) (١) .

أرأيت إلي تعدد هذه الغارات التبشيرية والاستعمارية على قلب القارة السمراء ، وهذا الانفاق الضخم الذي تنفقة هذه البعثات والإرساليات التبشيرية في وسط القارة ما هو إلا أداة فاعلة لكسب أنصار ، وتنصير مسلمين ، وهم يسلكون في سبيل ذلك طرق وحيل شتي كلها غير شرعية (وللتعرف على بعض الأنشطة غير الشرعية لهذه الإرساليات يتحتم علينا الإشارة إلي أدوار – واحدة منها – ولتكن مثلاً الإرسالية الألمانية في – لامو – بشيء من التفصيل:-

– المبشرون الألمان في لامو يزودون عملاء ألمانيا ومنهم دينهارت كوستاف بالمعلومات عن المواطنين والوطن .

– يستميلون أبناء لامو ويشجعونهم من وراء أهليهم على الالتحاق بمدرسة الإرسالية .

– ينسحون الكتيبات السواحلية في موضوعات دينية مسيحية مضادة للإسلام ، ويوزعونها على من يلتحق بمدرستهم ويحاولون تنصيرهم ، ولكن بدون جدوي .

---

١ – التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ج ٥ ص (٢٥) .

- ثبت لدينا بالوثائق التاريخية والدلائل الدامغة أن هذه الإرسالية كانت تحمي من يتمرد على نظام وقيم المجتمع الإسلامي في - لامو - وتبرئ من يرتكب منهم جرائم يعاقب عليها القانون) (١) .

إن الوجه الكالح لهذه الإرساليات وتلكم الحملات لا يهمه أن تكون الوسيلة التي يسلكها غير شرعية فمآربة استعمارية صليبية بالدرجة الأولي وإذا لم تستح فاصنع ما شئت .

ثامناً : النتائج المترتبة على أعمال المبشرين في أفريقيا :

إن النتائج المترتبة على هذه المجهودات جد خطيرة ، وفي كثير من الأحيان كسبت هذه الإرساليات ، وتلكم البعثات بعض من ضعفاف الإيمان ، ومن خلال النماذج الثلاثة التي سقنا طرفاً من أعمال المبشرين فيها ، وهي مصر ، بلاد المغرب(وشمال أفريقيا) وقلب أفريقيا نستطيع القول بأن (العداء الغربي المسيحي للإسلام والمسلمين قديم ، وبخاصة في أفريقيا السمراء ، فجحافل الاستعمار الأسود ، قد هجمت على أفريقيا واستذلت أهلها ، واليوم يتقدم التنصر جحافل الاستعمار ، لا لاستعمار القارة وفقط ، بل لمحاولة زعزعة عقيدتها الإسلامية ، إذ أن أغلب سكان هذه القارة مسلمون ، ومن يطلع على أسماء دول منظمة المؤتمر الإسلامي يجد أن أغلب هذه الدول من أفريقيا وعلي سبيل المثال : الكاميرون ، أثيوبيا ، جيبوتي ، الجابون ، غينيا ، فولتا العليا ، بيساو ، مالي ، النيجر ، تنزانيا ، تشاد ، السنغال ، سيراليون ، أوغندا ، فضلاً عن الدول العربية الأفريقية كمصر والسودان ، وليبيا ، والصومال ، وتونس ،

---

١ - كتاب المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية ج ٢ ص (٢٥٤) مقال الدكتور / محمد إبراهيم محمد العجل بعنوان : نظرات في جهود التبشير في شرق القارة الأفريقية .

الجزائر ، المغرب ، وموريتانيا ، وفضلاً عن الأقليات الإسلامية المتنامية يوما بعد يوم في هذه القارة) (١) .

ونستنتج أيضاً أن أعمال المبشرين التى يقدمونها لأهالي الأقطار الأفريقية باسم المساعدات الإنسانية والتى يقدمونها بطرق وحجج واهية ، أنه لابد من العمل على تعريتها ، وإماطة اللثام عنها ، وكشف سترها ، لأن هذه الأعمال التى يقدمونها ما هي إلا محاولة (للتشويش على المسلمين ، وقيمهم أو على الأقل وقف المد الإسلامي المتزايد في القارة وغرس بذور التفرقة والعنصرية بين أبناء القارة الواحدة ، ومن ذلك قولتهم المشئومة إن شمال القارة يختلف عن جنوبها وشرقها يختلف عن غربها ، وقلب القارة يختلف عن كل ذلك ، والناطقون بالفرنسية غير الناطق بالإنجليزية ، والمسلمون يختلفون عن غير المسلمين ... والويل كل الويل للذين يفكرون في اعتزازهم بالإسلام واللغة العربية والاكتفاء الذاتي من خيرات القارة والوحدة السياسية والاقتصادية والثقافية ، ويقود كل ذلك حملات تنصرية مرعبة ومعدة إعداداً دقيقاً حتى قال قائلهم " مبشر لكل أفريقي " ولك أن تعرف أن عدد الجمعيات التنصرية في بلد واحد مثل دولة تشاد أكثر من ١٤٩ جمعية تنصرية ذات نفوذ قوي) (٢) .

هذا الاهتمام اللا محدود نحو هذه القارة لاجتذاب خيراتها وتنصير أهلها ، والعمل الدائب على ضياع دينهم ولغتهم وثقافتهم ، يعمل عليه فريق المبشرين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وتوجهاتهم في دأب وحرص شديدين ، وبروح صليبية محمومة يعوزها الانصاف ، إن كانوا يريدون للقارة الفقيرة – على حد زعمهم – خدمات كما يدعون .

---

١ – المسلمون في جزر القمر أ / محمد رمزي قواز ص (٤٣) وهامشها بتصرف يسير

٢ – جريدة العالم الإسلامي الأسبوعية ص (٥) في عددها الصادر يوم الاثنين ١١ جمادي الأول سنة ١٤١٧ هـ – ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٩٦ م .

فالنتيجة الكبرى المترتبة على أعمال المبشرين في هذه القارة ضياع هوية المسلمين ، دينهم ، ولغتهم ، وثقافتهم ، واجتذاب خيراتهم ، وتمييع كل ما يؤصل لديهم روح الاعتصام والوحدة ، وويل لهم إن أرادوا لأنفسهم استقلالية من أي نوع.

تاسعاً : حال المسلمين اليوم في أفريقيا :

إن نظرة على أحوال المسلمين اليوم في أفريقيا تطلعنا على الصورة الصحيحة لأبناء هذه القارة ، وما هم عليه من وهن ومشاكل كثيرة أدت إلي سبب تأخرهم (فالمسلمون في قارة أفريقيا يعانون من مشاكل معقدة أدت إلي انحطاطهم وقعدت بهم عن ممارسة دورهم في نشر الدعوة الإسلامية في مجتمعاتهم ، فضلاً عن تقديمها لجبرانهم من الوثنيين ، وأهم ما يعانيه المسلمون الأفارقة ما يلي :

أولاً : يعاني المسلمون الأفارقة من الوهن العام الذي تتبدي مظاهره في عدم مقدرتهم على المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية في بلادهم شاءوا أم أبوا ، فبلد مثل السنغال تبلغ نسبة المسلمين فيه ٩٧ % كانت تدار إلي عهد قريب بواسطة رئيس مسيحي ، وبلد مثل أثيوبيا تفوق نسبة المسلمين فيه ٥٠ % على أقل تقدير نجد معظم الوظائف الإدارية من المسيحيين ولا يوجد وزير مسلم واحد في حكومتها ، وكينيا نسبة المسلمين فيها ٣٠ % لم يحظ مسلم واحد بوظيفة وزارية .

ثانياً : يعاني المسلمون من الجهل والفقر الذي تتجلي مظاهرة في عدم تأهيلهم للحياة العامة نتيجة لاحتكار المؤسسات التنصرية للتعليم ، الأمر الذي جعل المسلمين يعزفون عنه ، فأورثهم ذلك جهلاً وبعدا عن دفة الحياة الحديثة ، وفي ذات الوقت أتاح لغيرهم التحكم في مصائرهم .

ثالثاً : يعاني المسلمون الأفارقة من مشكلة الذوبان الثقافي في المجتمعات من حولهم وضياع هويتهم الثقافية ، فأصبحوا ينظرون إلي الحياة بنظرة هذه المجتمعات ويستحلون ما يستحله غيرهم .

رابعاً : يعانون أيضاً من الفرقة والشتات وانقسامهم إلي طوائف وشيع ، فالمجتمع الأفريقي مجتمع قبلي يجعل الكثير من المسلمين يوالون قبائلهم أكثر من ولائهم لدينهم .

خامساً : كما تعاني المجتمعات الإسلامية في هذه القارة من ضعف اتصالها ببقية أجزاء العالم الإسلامي نتيجة العزلة التى ضربها الاستعمار وأخذت بها الحكومات التي أعقبته بالحد من حرية الحج الذي يهيء أسباب الاتصال بالعالم الخارجي والالتقاء ببقية المسلمين) (١) .

هذه القيود وتلكم العوامل التى تفرضها المجتمعات الغربية الاستعمارية على هذه البلاد من شأنها أن تقوض حركاتهم ، وتكون سببا مباشراً في تأخرهم عن ركب الحياة في كل الميادين ، ولا سيما الميادين الدينية والاجتماعية بالذات

يقول الأمير شكيب أرسلان (فمن أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل الذي يجعل فيهم من لا يميز بين الخمر والخل ، فيتقبل السفسطة قضية مسلمة ، ولا يعرف أن يرد عليها ، ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين العلم الناقص ، الذي هو أشد خطراً من الجهل البسيط ، لأن الجاهل إذا قيض الله له مرشدا عالما

---

١ – كتاب المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية ج ٢ ص (٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣) بتصرف شديد – مقال المشير عبد الرحمن سوار الذهب رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية ، بعنوان : أوضاع الأقليات المسلمة في القارة الأفريقية وينظر أيضاً التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص (٣٥٤ ، ٣٥٥) .

أطاعه ... ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين أيضاً فساد الأخلاق بقصد الفضائل التي حث عليها القرآن . والعزائم التي حمل عليها سلف الأمة) (١) .

وإذا نظرنا إلي توجهات المبشرين والمستعمرين نحو هذه القارة ، نجد أنها توجهات تعمل على إحياء وإذكاء وتنمية كل هذه العوامل بغية تخلف أبناء هذه القارة ، حتي يتسني لهم ما يريدون منهم من تبعية وجهل ، وبالفعل فقد صارت دول كثيرة من دول هذه القارة في ركاب المبشرين والمستعمرين .

الوضع الراهن للمسلمين في أفريقيا يزداد خطراً :

إن حال المسلمين الراهن في أفريقيا كحال المسلمين في كل دول العالم ، بل أشد خطراً وأعظم ضرراً ، فالخريطة الاستعمارية تقسمهم ، وتعمل على تنصيرهم ، أو مسخهم ، وجعلهم بلا عقيدة إن لم يدخلوا في النصرانية ، بل إن دول أفريقيا لفقرها وفقدانها لكثير من مقومات الحياة ، وتخلفها في النواحي العلمية والسياسية والعسكرية والاجتماعية ، كل ذلك مما يجعل الشعوب الأفريقية لقمة سائغة لأعمال المنصرين على اختلاف مذاهبهم وبلادهم .

إن ما تعانيه شعوب أفريقية من حروب طاحنة وتخلف اقتصادي واجتماعي وسياسي وعسكري ، وما خلفته الدول الأوربية التي استعمرتها لفترات طويلة ، جعلت الوضع الراهن لمسلمي القارة على ما هو عليه الآن ، الأمر الذي يدعونا إلي أن نتوجه لأنفسنا بهذا السؤال وهو :

كيف نواجه هذا الخطر ؟ والإجابة عليه فيما يأتي ، وهو طريق العلاج .

---

١ – لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم للأمير شكيب أرسلان ص (٧١ ، ٧٢) باختصار الطبعة الأولي ، دار الكلمة الطيبة سنة ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .

عاشراً : طريق العلاج :

وللإجابة على السؤال تتطلب السابق : وهو كيف نواجه خطر النشاط التبشيري على أفريقيا ، أو ما هو طريق العلاج ؟

إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب منا أن نكون جادين ، وأن نكون على مستوي المسئولية المنوطة بنا ، والتى كلفنا الله – تبارك وتعالي بها في قوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (١)

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٢) ونصر الله عز وجل – يكون بنصر دينة ، والعمل على نشره ، وتوصيله إلي ربوع الدنيا .

وأما الإعداد الذي أمرنا به في قوله تعالي : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ فهو إعداد يشمل كل وسيلة يتوصل بها إلي التصدي لأعداء الله – تعالي – ولأمر ما قال الله – عز وجل – " مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ " وإذا ما انطلق العمل الإسلامي من أرض خصبة مزودة بمثقفين ثقافة إسلامية واعية وواسعة ، وجمهور ملتزم بالإسلام التزاماً صادقاً ، استطاع هذا العمل أن يقف في وجه هذا الزحف الصليبي ، ويكسر شوكته ، وبالتالي تصبح القوة الإسلامية ، قوة ضاربة يعمل لها ألف حساب وحساب ، وفي النص الكريم ما يفيد ذلك .

يقول الأستاذ / سيد قطب عند تفسيره لهذه الآية "وَأَعِدُّواْ لَهُم" – (والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها ، ويخص " رِّبَاطِ الْخَيْلِ " لأنه الأداة التى كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة .....

---

١ – الآية رقم (٧) من سورة محمد .

٢ – من الآية رقم (٦٠) من سورة الأنفال .

ويواصل حديثه فيقول : (إنه لابد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان ، وأول ما تصفه هذه القوة في حقل الدعوة ، أن تؤمن من الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها .

والأمر الثاني : أن ترهب أعداء هذا الدين ، فلا يفكروا في الاعتداء على " دار الإسلام " .

الأمر الثالث : أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه هذا المد الإسلامي .

والأمر الرابع : أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية) (١) .

الطريق لهذا العلاج في نظر بعض المفكرين :

وأسوق هنا طرفا من وجهة نظر بعض المفكرين ، وذلك لعلاج الأمة وصحوتها من كبوتها ، حتى تتصدي لهذه الهجمة الجبارة التى تعمل ضد المسلمين ، في أفريقيا وفي غيرها .

١ – عند الدكتور : المطعني .

يري الدكتور / عبد العظيم المطعني (أن المواجهة تتطلب منا اتخاذ الخطوات الآتية :–

أولاً : إنشاء مركز إسلامي عالمي ، تسهم في تمويلة كل الدول الإسلامية ، وتكون مهمته ،

---

١ – في ظلال القرآن ج ٣ ص (١٥٤٣) باختصار الطبعة الثالثة عشرة ١٩٨٧ م – ١٤٠٧ هـ – دار الشروق .

١ – متابعة ما يكتبه المبشرون والمستشرقون عن الإسلام في كل مكان ، ثم ترجمة أعمالهم للغات الإسلامية مع تفنيد شبهاتهم والرد عليها وإظهار زيفها

٢ – ترجمة ما يمكن من الكتب الإسلامية إلى اللغات الحية ، وتسويقها عالمياً ، على أن تكون هذه الكتب مما يحتاج إليه المثقف العصري مما لها صلة بالفكر العالمي ، ويعمل بهذا المراكز نخبة ممتازة من صفوة المفكرين الإسلاميين المشهود لهم بالإخلاص في مجال الدعوة) (١)

وفي رأيي أن إنشاء مثل هذا المركز يسهم بدور كبير في الرد على المبشرين وتفنيد كلامهم ، فمقارعة الحجة بالحجة والفكر بالفكر لابد منه حتى تقام عليهم الحجة ويسطع البرهان ويظهر زيفهم وضلالهم .

ثانياً : العمل على تعليم اللغة العربية لغير العرب ، ووضع خطة مدروسة جيداً للقيام بهذا الدور البالغ الأهمية حتى نتيح الفرصة للمسلم غير العربي أن يطلع على المؤلفات الإسلامية فتحصل له مناعة وحصانة ضد الفكر المضاد) (٢)

وإذا كان تعلم اللغة العربية يعطي المسلم حصانة ومناعة ضد الأفكار المسمومة ، فإن تعلمها على جانب عظيم أيضاً من الدين بالضرورة فإن العبادة في الإسلام تكون بها ، والقرآن الكريم عربي والرسول (ﷺ) عربي ، ولم ينزل وحي إلا بالعربية ، وحديث أهل الجنة بالعربية ، ولقد ألف الإمام الحافظ زين العابدين عبد الرحيم بن الحسين المتوفي سنة ٨٠٥ هـ مصنفا أسماه " القرب في فضل العرب " وقسمه أبواباً وعنون هذه الأبواب بعناوين تحمل في ثناياها فضل العرب ،وفضل اللغة العربية ، ونزول الوحي بالعربية ، فعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله (ﷺ) – والذي نفس بيده ما أنزل الله – عز وجل – وحيافط على نبي من الأنبياء إلا بالعربية ثم

---

١ – التبشير العالمي ضد الإسلام ص (٧٦ ، ٧٧) بتصرف يسير .

٢ – التبشير العالمي ضد الإسلام ص (٧٦ ، ٧٧) بتصرف يسير .

يكون النبي بعد يبلغ قومه بلسانهم " رواه الطبري في المعجم الأوسط وقال حديث حسن صحيح ورجاله كلهم ثقات) (١) .

ثالثاً : إنشاء مدارس ومعاهد إسلامية في عواصم دول العالم الكبرى لرعاية أبناء المسلمين فيها وربطهم بدينهم ولغتهم وتاريخ أمتهم وأوطانهم ، على غرار المدارس والمعاهد التى تنشئها بعض الدول الأوربية في بلاد المسلمين .

رابعاً : رعاية المبعوثين المسلمين إلي جامعات الغرب لحمايتهم من الفكر المضاد،فقد ثبت يقيناً أن الفكر المضاد يجند أكثر عملائه من هؤلاء المبعوثين) (٢).

وإنشاء مثل هذه المدارس ، ورعاية هؤلاء المبعوثين لهما أعظم الأثر في حماية أبناء المسلمين في الفكر الغربي ومن التيارات التى تعصف بعقولهم وبعدهم عن دينهم الحنيف .

خامساً : إنشاء أقسام علمية بالجامعات الإسلامية لدراسة الفكر المضاد وأهدافه ووسائله ومواجهته .

سادساً : إحكام الرقابة والإشراف الكامل على دور التعليم في البلاد الإسلامية ، فقد ثبت يقيناً تورط هذا التعليم في ممارسات تبشيرية ضد الإسلام بين صغار السن وتربيتهم على الولاء لغير دينهم .

سابعاً : إعادة سهم المؤلفة قلوبهم من مصارف الزكاة والاستفادة من المتحصل منه في الإنفاق على من يسلم ويضار في مصادر رزقه .

---

١ – عن كتاب القرب في فضل العرب للإمام الحافظ زين العابدين عبد الرحيم بن الحسين ص (٣٨ ، ٣٩) – سلسلة قضايا عربية – تصدرها رابطة الأدباء في الكويت .

٢ – التبشير العالمي ص (٧٧) .

ثامناً : التدخل الرسمي عن طريق سفاراتنا وقنصلياتنا في الخارج لحماية الرعايا المسلمين والمطالبة برفع الاضطهاد عنهم كمسلمي بلغاريا وغيرهم .

تاسعاً : دعم رسالة المراكز الإسلامية في دول الغرب الكبرى وتنشيط حركتها والاستفادة من خبرتها في هذا المجال .

عاشراً : على الحكومات الإسلامية وأثرياء المسلمين أن لا يبخلوا بالجهد والمال في سبيل نشر الدعوة في الداخل والخارج والإسهام في الأعباء التي تتطلبها خطة الدعوة) (١) .

وهذه الخطوات وتلكم الاقتراحات لمواجهة الفكر الغربي من الدكتور المطعني ، لو وضعت حقا في حيز التنفيذ لأتت الدعوة أكلها ، وأثمرت في الحقل الإسلامي ثمرات طيبة كلها النفع للمسلمين ، ولشكل المسلمون قوة هائلة يزودون بها عن دينهم وأوطانهم كل معتد أثيم .

طريق العلاج في فكر صاحب أجنحة المكر :

يقول (والعمل للإسلام الحق يتطلب من طلائع الوعي الإسلامي حركة فعالة متزنة تتسم بطول الصبر ، وسعة الصدر ، وعدم استعجال النتائج ، والتخطيط للأمد البعيد بفكر عميق مستفيد من تجارب الماضي وعظاته ... ولهذه الحركة الإسلامية أن تستفيد من خطة العمل التالية :

١ – ينطلق العمل الإسلامي بالاعتماد على عنصرين رئيسيين من عناصر العمل الفعالة المنتجة ، بهدوء واتزان ودأب .

---

١ – السابق ص (٧٧ ، ٧٨) باختصار شديد ، وينظر مقال : أوضاع الأقليات المسلمة في القارة الأفريقية للمشير سوار الذهب ج ٢ ص (٤٢٧) وما بعدها من الكتاب الحادي عشر من مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية .

العنصر الأول : مثقفون ثقافة إسلامية واعية متسمة بعمق التفكير وسعة الأفق ورحابة الصدر وقوة الحجة ، والفاعلية الدائبة .

العنصر الثاني : جمهور من الملتزمين بالإسلام عقيدة وعملا .

إن العمل الإسلامي إذا انطلق من قاعدة سليمة ، ومن أرض صالحة وخصبة مزودة بهؤلاء المثقفين ثقافة إسلامية واعية ، وجمهور ملتزم بالإسلام التزاماً صادقاً استطاع هذا العمل فعلاً أن يقف في وجه هذا الزحف الصليبي ، ويعمل على كسره وإماتته فتصبح القوة الإسلامية " الأمة الإسلامية " قوة ضاربة يعمل لها ألف حساب .

٢ – منهاج العمل : ولإعداد عنصري العمل السابقين يمكن رسم بعض الخطوات الرئيسية دون الدخول في التفاصيل .

الخطوة الأولى : الانطلاق إلي العمل ، وتتم هذه الخطوة بإحدى وسيلتين :

أ – باندفاع نواة أولي صالحة للاستقطاب ، ومزودة بكفاءات طيبة للعمل ، ومعرفة إسلامية واسعة ، وأخلاق قيادية حكيمة .

ب – وإما بتجميع نخبة ممتازة من الباحثين الإسلاميين ، ليصدر عنهم مجتمعين الانطلاق إلي العمل .

وفي رأيي أن الجمع بين الوسيلتين أفضل ، لأن الهجمة الاستعمارية الصليبية شرسه تتطلب منا كل قوة وكل إعداد ، لاسيما وقد قال الحق تبارك وتعالي " وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ " .

الخطوة الثانية : وضع ميثاق إسلامي عام يمكن أن يلتقي عليه معظم المسلمين ، وأن يلتزموا به بعيدا عن إثارة كل النقاط الخلافية .

الخطوة الثالثة : وضع منهاج التثقيف الإسلامي العام باختيار البحوث الإسلامية التى يحتاجها المسلم المعاصر .

الخطوة الرابعة : إعداد المصنفات الإسلامية الحديثة أو انتقاء المناسب منها، على أن يتناول البحث الموضوعات المقررة للتثقيف الإسلامي العام .

الخطوة الخامسة : إعداد جيش المثقفين ثقافة إسلامية راقية مقرونه بوعي والتزام واتزان .

الخطوة السادسة : التوعية الإسلامية العامة ، بمستويات تتناسب مع حال الجماهير المختلفة .

الخطوة السابعة : تبريد حرارة الخلافات المذهبية والعمل تقريب وجهات النظر بطريقة لا جدال فيها ولا مشاحنات .

الخطوة الثامنة : فضح دسائس أعداء الإسلام الفكرية والعملية بين المسلمين، وإبراز الصورة المشرقة الحقة بكل وسيلة من وسائل الإعلام والتنوير

الخطة التاسعة : استغلال المشاعر الإنسانية لإيقاف المسلمين موقف الحذر في مواجهة كل غزو فكري يمس عقائدهم وعبادتهم وأخلاقهم ونظمهم الإسلامية ووحدتهم العالمية .

الخطوة العاشرة : تجنب أي صراع مباشر مع أية حركة إسلامية مهما كان نوعها ، لأن هذا الصراع من شأنه أن يبدد طاقات المسلمين .

الخطوة الحادية عشرة : توجيه قدر كبير من طاقات العمل إلي بلاد الغزاة لنشر الإسلام الصحيح الصافي فيها بمختلف وسائل النشر مع إعطاء صورة سليمة للتطبيق الإسلامي) (١) .

---

١ – أجنحة المكر الثلاثة ص (٦٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢) بتصريف وينظر أيضاً : أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي للأستاذ / أنور الجندي ص (١٨) وما بعدها الطبعة الثالثة سنة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م – دار الصحوة للنشر والتوزيع – بالقاهرة .

والحقيقة أن منهج العمل في ضوء هذه الخطوات والعمل على تنفيذها بصورة جدية أمر لا بد منه ، لأن الإسلام تتكالب عليه كل القوى الاستعمارية بضراوة شديدة وبشتى الوسائل ، حتى ولو كانت وسائل رخيصة ودنيئة ، كما هو الحال في سلوك هؤلاء الصليبيين .

فالواجب على ولاة أمر المسلمين – الحكام والعلماء – أن يقوموا بواجبهم حيال دينهم ، بالتمسك به والعمل على نشره ، والزود عنه ، وتوعية أبناء الإسلام بدينهم توعية صحيحة ، فديننا فيه من القوة الذاتية ، والرحابة والسعة ما يمكن له في عالمنا المعاصر .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (١) .

وفي هذا توجيه للأمة ، علماء ، وحكام ، ومحكومين بأن يمكنوا لدين الله عز وجل في كل بقاع الأرض ، بالعمل على نصرته ، ونشره ، والاعتزاز به ، فهو دين العزة لمن أراد العزة في الدنيا والآخرة .

" والله يقول الحق وهو يهدي السبيل "

والحمد لله أولاً وآخراً

---

١ – الآية رقم (٤١) من سورة الحج .

مصادر البحث

القرآن الكريم

١ – أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها – التبشير – الاستشراق الاستعمار للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني – الطبعة السابعة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م – دار العلم دمشق .

٢ – الإسلام على مفترق الطرق للأستاذ / محمد أسد ، الدكتور / عمر فروج – طبعة دار العلم للملايين ١٩٨٤ م .

٣ – أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي للأستاذ / أنور الجندي الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م – دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة .

٤ – التبشير والاستعمار في البلاد العربية للدكتور / مصطفي خالدي ، والدكتور / عمر فروخ طبعة ١٩٨٣ م منشورات المكتبة العصرية – صيدا – بيروت .

٥ – التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة للأستاذ / أنور الجندي طبعة دار الأنصار إبداع ١٩٨٣ م .

٦ – التبشير العالمي ضد الإسلام للدكتور / عبد العظيم المطعني – الطبعة الأولي ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م – مكتبة النور .

٧ – التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٧٨ م .

٨ – الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها ومقاومتها ، للدكتور / بركات عبد الفتاح دويدار – الطبعة الرابعة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م – دار التراث العربي للطبع والنشر – القاهرة .

٩ – حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان ، ونقلة إلي العربية الأستاذ / عجاج نويهض – الطبعة الرابعة ١٩٧٣ ن – ١٣٩٤ هـ – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٠ – جريدة العالم الإسلامي الأسبوعية في عددها الصادر يوم الاثنين ١١ جمادي الأول ١٤١٧ هـ ٢٣ ديسمبر ١٩٩٦ م .

١١ – صحة تحذير من دعاة التنصير لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الغزالي – الطبعة الأولي ١٤١١ هـ – ٢٠٠٠ م – دار القلم – دمشق .

١٢ – الغارة على العالم الإسلامي آلـ شاتليه ، لخصها ونقلها إلي العربية الأستاذان / محب الدين الخطيب ، مساعد اليافي – طبعة ١٣٩٨ هـ – الطبعة السلفية ومكتبتها .

١٣ – في ظلال القرآن : للأستاذ / سيد قطب الثالثة عشرة ١٩٨٧ م – ١٤٠٧ هـ – دار الشروق .

١٤ – الفلسفة اليونانية ليوسف كرم طبعة دار القلم – بيروت بدون تاريخ .

١٥ – القُرب في فضل العرب للإمام الحافظ زين العابدين عبد الرحيم بن الحسين – سلسلة قضايا عربية – تصدرها رابطة الأدباء في الكويت .

١٦ – كتاب المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية ج ٢ .

١٧ – لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم للأمير شكيب أرسلان – الطبعة الأولي ١٤١٠هـ – ١٩٨٩ م – نشر وتوزيع دار الكلمة الطيبة .

١٨ – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للأستاذ / أبو الحسن الندوي – طبعة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م – مكتبة السلفة .

١٩ – المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية دكتور / إبراهيم أنيس وآخرون – الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م – دار المعارف – مصر .